

التفصير المختصر - سورة الشعرا (٢٦) - الدرس (١٥٠-١٥٩) : تفسير الآيات ١٤١ - ١٥٢ ،
فانقوا الله وأطيعون ولا تطعوا أمر المسرفين.....
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٨-٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا
إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا
الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسْتَمِعُونَ القول
فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ وَأَدْخِلُنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.
أيها الإخوة الكرام، لا زلنا مع قصة قوم ثمود ومع نبيهم سيدنا صالح وقفنا البارحة عند قوله
تعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا
يُصْلِحُونَ (١٥٢)﴾

[سورة الشعرا]

اليوم نقف عند قوله تعالى في هذه القصة، " كذَّبُتْ شَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ صَالِحٌ لَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
(١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَيْهِ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ
(١٤٥) أَتُتَرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا أَمِينِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ (١٤٧) وَزَرْوَعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا
هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ (١٥٠) وَلَا
تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١)﴾

[سورة الشعرا]

و التركيز في هذا الدرس على قوله: " أَتُتَرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا أَمِينِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ (١٤٧) "

[سورة الشعرا]

أيها الإخوة، الإنسان إذا خطط لمستقبله على حساب الآخرين خرج عن منهج الله، وبنى مجده
على أنقاض الآخرين و بنى غناه على إفقارهم و بنى عزه على ذلهم و بنى ثروته على اغتصاب
أموال الناس و خطط لحياة هنية و دعية ناعمة فيها ترف و نعيم و بهجة، إذا سار الأمر على ما
خطط يكون هذا الدين باطلًا، فأين الله؟

﴿أَتُتَرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا أَمِينِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ (١٤٧)﴾

[سورة الشعرا]

الإنسان إذا أكل مال إخوه بعد موت أبيه و لم يعطهم شيئاً و أفرقهم و تمنع وحدة بالمال وبنى
و عمر و اشتري و زخرف و زين و حاول أن ينغمس في نعيم مستمر، وهو يظن أن الأمر يستمر

إِلَى مَا لَا نهَايَةَ الْجَوَابُ ؛ أَينَ اللَّهُ ؟ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ الْبَدْوِيُّ الَّذِي سَأَلَهُ عَمْرٌ : بِعْنَى هَذِهِ الشَّاةَ وَ خَذْ ثَمَنَهَا قَالَ : لَيْسَتْ لِي ، قَالَ : قُلْ لِصَاحْبِكَ : مَاتَتْ أَوْ أَكَلَهَا الذَّئْبُ ، قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَشَدُّ حَاجَةً إِلَى ثَمَنَهَا ، وَ لَوْ قَلْتُ لِصَاحْبِهَا مَاتَتْ أَوْ أَكَلَهَا الذَّئْبُ لِصَدَقْتِي ، فَإِلَيْيَ عِنْدَهُ صَادِقٌ أَمِينٌ وَ لَكِنْ أَينَ اللَّهُ ؟ وَ مَرَّةً قَالَ لِي طَالِبٌ : لَيْ خَالٌ صَاحِبٌ دَارٌ سِينَمَا وَ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْكِي ، أَصَيبَ بِمَرْضِ السُّرْطَانِ فِي دَمِهِ فِي مُقْتَلِ الْعُمُرِ - خَمْسَةً وَ أَرْبَعَونَ سَنَةً - فَقَالَ لَابْنِ أَخِيهِ : جَمَعْتُ هَذِهِ الثَّرَوَةَ مِنْ أَجْلِ أَنْ أَعِيشَ مُمْتَنِّعًا بِهَا ، وَ إِنَّ الْمَرْضَ أَفْسَدَ عَلَيَّ خُطْبَتِي ، قَالَ تَعَالَى :

﴿أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتِ وَعِيُونِ (١٤٧)﴾

[سورة الشعراء]

فَمَنْ اسْتَقَامَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ خُطْبَهُ الْبَيَانِيُّ صَاعِدٌ ، لَكِنْ هَذَا الَّذِي اعْتَدَى وَ أَخْذَ مَا لَيْسَ لَهُ وَ لَمْ يَعْبُدْ بِالْحَرَامِ وَ لَا الْحَلَالِ ، أَكَلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَ حَقَقَ بِالْغَشِّ أَرْبَاحًا طَالِثَةً ، وَ فِي كُلِّ مَصْلَحَةٍ لَهُ فِيهَا غَشٌّ ، وَ مُمْكِنٌ مِنَ الْغَشِّ أَنْ تَحْقِقَ ثَرَوَةً كَبِيرَةً جَدًّا ، فَإِذَا بَنَى الْإِنْسَانُ ثَرَوَتَهُ عَلَى الْغَشِّ وَ الْخَدَاعِ وَ الْكَذْبِ وَ الْأَغْتِصَابِ وَ الْأَحْتِيَالِ - بَيْتٌ وَ مَزْرَعَةٌ وَ مَعْمَلٌ وَ مَكْتَبٌ وَ مَرَكَبَاتٌ - إِذَا نَجَحَتْ خُطْبَتِهِ إِلَى مَا لَا نهَايَةَ مَعْنَاهُ أَنَّ الدِّينَ باطِلٌ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ مُوْجَدًا ، قَالَ تَعَالَى :

﴿أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتِ وَعِيُونِ (١٤٧)﴾

[سورة الشعراء]

وَ قَالَ تَعَالَى :

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)﴾

[سورة العنكبوت]

فَهُلْ فِي كُلِّ يَوْمٍ نَسْتِيقْطُ فِيهِ هُوَ كَسَابِقُهُ ، لَا ، هَنَاكَ مُفَاجَاتٌ خَطِيرَةٌ جَدًّا ، فَيُؤْتَى الْحَذَرُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَ لَا يَنْفَعُ حَذَرٌ مِنْ قَدْرٍ وَلَكِنْ يَنْفَعُ الدُّعَاءُ مَمَّا نَزَّلَ وَ مَمَّا لَمْ يَنْزَلْ . أَرِيدُ أَنْ أَفُولَ فِي هَذَا الْدُّرْسِ إِذَا الْإِنْسَانُ جَمَعَ أَمْوَالَهُ بِطَرِيقٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ وَ خَطَطَ لِنَفْسِهِ حَيَاةً رَغْيِيَّةً فِي الدُّنْيَا فِيهَا تَرْفُلٌ وَ نَعِيمٌ وَ لَمْ يَعْبُأْ بِالْمَالِ الْحَرَامِ الَّذِي اكْتَسَبَهُ وَ لَمْ يَعْبُأْ بِمَنْهَجِ اللَّهِ الَّذِي تَرَكَهُ وَ لَمْ يَعْبُأْ بِالْأَمْرِ وَ النَّهْيِ الَّذِي عَصَاهُ ، فَإِذَا نَجَحَتْ خُطْبَتِهِ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ باطِلٌ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتِ وَعِيُونِ (١٤٧)﴾

[سورة الشعراء]

هَنَاكَ مُفَاجَاتٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا ، لَذَا لَا يَقِيكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا أَنْ تَكُونَ فِي طَاعَتِهِ تَعَالَى ، وَ دَائِمًا إِلَّا إِنْسَانٌ مَهْمَا كَانَ ذَكِيًّا ، وَ مَهْمَا أَخْذَ الْأَحْتِيَاطَاتِ وَ مَهْمَا أَغْلَقَ الْأَحْتِمَالَاتِ ، وَ مَهْمَا دَعَمَ مَوْقَفَهُ ، وَ مَهْمَا قَوَّى مَرْكَزَهُ وَ أَسْكَتَ خُصُومَهُ ، وَ مَهْمَا جَلَبَ الْمَنَافِعَ وَ أَنْشَأَ الْأَعْوَانَ ، وَ أَكْثَرُ مَنْ حَوْلَهُ فَاللهُ عَنْهُ مُفَاجَاتٌ ، وَ يُؤْتَى الْحَذَرُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، أَذْكُرُ أَنَّنِي كُنْتُ مَرَّةً عَنْدَ طَبِيبٍ ، وَ جَاءَهُ هَافِنَ ، وَ الْجِهازُ قَدِيمٌ وَ سَمِعْتُ صَوْتَ الْمُتَكَلِّمِ ، قَالَ لِهِ : أَيِّ مَكَانٍ بِالْعَالَمِ ، وَ أَيِّ مَبْلَغٍ نَدْفَعُهُ فَهُلْ هَنَاكَ مِنْ أَمْلَ ؟ ! قَالَ لِهِ هَذَا الطَّبِيبُ : وَاللَّهِ لَا يَوْجِدُ أَمْلًا ! فَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقِيكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ أَنْ تَكُونَ عَلَى

مَنْهِجِهِ، وَمِمَّا خَطَطْتَ لَا يُوجَدُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرٌ وَأَبْرَزَ هَذِهِ الْمَفاجَاتِ تَعْطُلُ جِهازَ الصِّحَّةِ ! فَهُذَا أَحَدُهُمْ جَاءَ بِشَهَادَةِ عَلِيًّا وَزَوْجَةِ فَرْنَسِيَّةَ، وَوَصَلَ إِلَى مَرْتَبَةِ عَالِيَّةٍ وَدَخَلَ كَبِيرًا، فَفَقَدَ بَصَرَهُ ! زَارَهُ صَدِيقٌ لِي، فَقَالَ لِهِ هَذَا الضَّرِيرُ وَاللَّهُ يَا فَلَانَ : أَتَمْنَى أَنْ أَجْلِسَ عَلَى الطَّرِيقِ أَمْدُدُ يَدِي لِلنَّاسِ، وَلَا أَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا، وَيُرَدَّ إِلَيَّ بَصْرِي !! فَالْآيَةُ دَقِيقَةٌ :

﴿أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتِ وَعِيُونِ (١٤٧)﴾

[سورة الشعراء]

وَتَجَدُّ الَّذِي يُطِيعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا قَوَّةً وَنَصَارَةً، فَهَذَا شَيْخٌ بَلَغَ سِنَّةَ وَتِسْعِينَ سَنَةً سَمْعُهُ مُهَرَّقٌ، وَبَصَرُهُ حَادٌ، وَأَسْنَانُهُ فِي فَمِهِ، وَقَامَتُهُ مُنْتَصِيَّةً، وَذَاكِرَتُهُ قَوِيَّةً، وَعَلَمُ ثَلَاثَةَ أَجْيَالٍ، فَلَمَّا سُأْلَ إِخْوَانُهُ : يَا سَيِّدِي مَا هَذِهِ الصِّحَّةُ الَّتِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ بِهَا ؟! فَكَانَ يَقُولُ : يَا بَنِيَّ حَفَظْنَاكُمْ فِي الصِّغَرِ فَحَفَظَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا فِي الْكَبَرِ، وَمَنْ عَاشَ تَقِيًّا عَاشَ قَوِيًّا، وَأَنَا لَا أُخَوِّفُ، وَلَكُنَّ أَبْشِرُ، وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اسْتَقَامَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ خَطَّهُ الْبَيَانِي صَاعِدٌ وَإِذَا انْتَهَى بِالْمَوْتِ، فَالْمَوْتُ تُحْكَمُ الْمُؤْمَنُ وَعِرْسَهُ شَرْطٌ أَنْ يَمْشِي عَلَى مَنْهَاجِ اللَّهِ تَعَالَى، أَمَا إِذَا أَلْقَى بِهِذَا الْمَنْهَاجَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَلَمْ يَعْبُأْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَبِالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَّةِ، وَيَقُولُ لِكَ : غَدًا أَتُوبُ فِي أَدَاءِ الْحَجَّ !! وَكَانَ أَدَاءُ الْحَجَّ عَبَارَةً عَنْ مَجْمُوعَةِ ذُنُوبٍ يُلْقِيَهَا الْإِنْسَانُ فِي الْحَجَّ ! فَالْتَّخَلِي عَنِ الذُّنُوبِ قَضِيَّةٌ لَيْسَتْ بِسَهْلَةٍ، فَالْحَاجُ الشَّكْلِيُّ هَذَا حَجَّ لَيْسَ فِيهِ تَصْفِيَةٌ لِلذُّنُوبِ، فَالذُّنُوبُ الَّتِي يَيْظَنُ النَّاسُ أَنَّهَا تُغْفَرُ فِي الْحَجَّ هِيَ الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ فَقَطُّ، أَمَا الذُّنُوبُ الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ لَا تَسْقُطُ إِلَّا بِحَالَتِيْنِ ؛ الْأَدَاءُ أَوُّ الْمُسَامِحةُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَخْطِطُ لِمُسْتَقْبِلِهِ فَهُذَا لَا مَانِعَ فِيهِ، أَمَا إِذَا بَنَيْتَ خَطَّةً عَلَى أَسَاسِ مَعْصِيَّةٍ وَعُدُوانٍ وَاغْتِصَابٍ وَحِرْمَانٍ، فَهَذِهِ الْخَطَّةُ لَنْ تَتَجَحَّ، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُوْجُودٌ وَلَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبُّ ذَكَرٍ لِي أَحَدُهُمْ بَعْدَ صَلَاةِ الْجَمَعَةِ، وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَتُقْرِنَّ مَعَهُ، فَقَلَّتْ لَهُ تَفْضِيلٌ : قَالَ لِي عَنْدِي مَحْلٌ بَيْنَ أَفْلَامَ مُنْحَطَّةٍ جَدًا وَقَدْ حَقَّتْ ثِرْوَةً طَائِلَةً، وَأَنَا الآنَ فِي بَحْبُوْةٍ، وَفِجَّاً الْمَحْلَ أَغْلَقَ وَالْأَفْلَامُ صُدِّرَتْ، وَأَصْبَحَ الْوَاصْعُبُ خَطِيرًا جَدًا، وَأَصْبَحْتُ بِأَمْرِ اِنْسَانٍ أَنَا وَزَوْجِي عَلَمًا أَنِّي نَشَأْتُ أَنْكُرُ وَجُودَ اللَّهِ، وَلَهُ رَئِيسُ الْمَحْلِ قَالَ لِهِ : إِفْعَلْ مَا تَشَاءْ، وَأَنَا قَدْ قَمْتُ بِكُلِّ مَا يَخْطُرُ عَلَى بَالِكِ !! وَهَا أَنَا ذَا أَدْخَلَ الْمَسْجِدَ أَوْلَ مَرَّةً بِحَيَاْتِي، وَقَدْ تُبْتُ !! وَاللَّهُ أَيّْهَا الْأَخْوَةُ لَمَّا خَرَجَ مِنْ عَنْدِي بَكَيْتُ وَقَلَّتُ : سَبَّحَنَ اللَّهَ، لَوْ بَقَيَ عَلَى حَالِهِ وَمَاتَ لَكَانَ مَصِيرَهُ النَّارُ ! فَمَنْ رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّهُ صَحَّا، قَالَ تَعَالَى :

﴿أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتِ وَعِيُونِ (١٤٧)﴾

[سورة الشعراء]

فَاللَّهُ رَحِيمٌ وَكَرِيمٌ، وَلَا يَتْرُكُهُ، وَيَفْاجِئُهُ بِمُفَاجَأَةٍ تَنْزُعُ لَهُ كُلَّ تَرْتِيبَهُ فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ لَا يُعْقِّبَ أَمْالَهُ بِالْدُّنْيَا، وَالْإِنْسَانُ إِذَا اسْتَقَامَ أَعْزَهُ اللَّهُ وَنَصْرَهُ وَحْفَظَهُ، وَيُلْهِمُهُ الصَّوَابَ، وَاللَّهُ تَعَالَى مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ وَالْتَّأْيِيدِ وَالْحِفْظِ، وَالرِّعَايَةِ، أَمَا إِذَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ اسْتِقْامَةً وَأَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ مَنْهَاجِ اللَّهِ فَهُوَ أَحْمَقُ، وَهَذَا يُسَمَّى اسْتِدْرَاجًا.

بالمناسبة، لا تظن أنّ ما ذُكر في كتاب الله من باب القصّة أو الرواية فالقرآن أعظم من ذلك ! هذه القصص هي قوانين نمسي بها في حياتنا وأوضحت مثلٌ لما دَّتنا ربّنا عن سيدنا يونس، قال تعالى:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧)

[سورة الأنبياء]

فأيّة قصّة في كتاب الله هي قانون، وقصة سيدنا ثمود مع سيدنا صالح قال تعالى:

﴿أَتُرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعِيُونٍ (١٤٧)﴾

[سورة الشعراء]

فالإنسان إذا خطّط وكان عاصيًّا لله، وكان قويًّا وغنيًّا، وذكيًّا، سيفاجئ أنَّ الله تعالى أفسد عليه خطّته.

وإذا قال الواحد ؛ أنا عندي شواهد لأناس عصاة ماتوا من دون أن يحدث لهم شيء ! نقول له: الموت ذاته إنها للحياة، لهذا الموت نهاية كل حي فالذى لم يكن له نصيب ردعى في الحياة الدنيا، فهذا يكون له عقاب دائم في الآخرة، والله عز وجل يعاقب إنساناً في الدنيا، لا بد أن يعلم أنه على خير، وفيه أمل، أما الذين لا يُعاقبون في الدنيا إطلاقاً؛ هؤلاء هم شر الناس، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (٤٤)

[سورة الأنعام]

فهذه الآية عظيمة جداً، قال تعالى:

﴿أَتُرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعِيُونٍ (١٤٧) وَرَزْرُوعٍ وَنَخْلٌ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَحْتُنَّ مِنَ الْجِبَالِ يُبُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)﴾

[سورة الشعراء]

والحمد لله رب العالمين